

الملخص : تتناول هذه الدراسة السيرة الذاتية والأعمال الإصلاحية للوالي العثماني عثمان نوري باشا، الذي يعد من أبرز الولاة في تاريخ الحجاز خلال فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني. تسلط الدراسة الضوء على مسيرته العسكرية وتدرجه في المناصب حتى توليه ولاية الحجاز مرتين، حيث ترك بصمات واضحة في مختلف المجالات. تركز الدراسة على الإصلاحات الشاملة التي قادها الباشا، والتي هدفت إلى ترسيخ السلطة العثمانية المركزية وتحديث الولاية. وتشمل هذه الإصلاحات الجانب الأمني، حيث نجح في تأمين طرق الحج والقضاء على تمرد القبائل عبر إنشاء ثكنات عسكرية ومخافر للشرطة. وفي الجانب الإداري، عمل على الحد من نفوذ أشرف مكة، وبلغ الأمر ذروته بعزل الشريف عبد المطلب، مما مكنه من إدارة شؤون الحجاز بشكل مباشر. كما تستعرض الدراسة مشاريعه العمرانية والحضارية الطموحة، مثل إيصال خط التلغراف إلى مكة، وإصلاح قنوات المياه، وإنشاء المدارس والمستشفيات، وتقديم مقترحات لإنشاء خط سكة حديد يربط جدة بمكة ويمتد إلى باقي مدن الحجاز. تخلص الدراسة إلى أن عثمان نوري باشا كان شخصية محورية، استطاع بفضل حزمه ورؤيته الإصلاحية أن ينقل الحجاز من حالة الفوضى إلى إدارة منظمة، وأن يترك إرثاً عمرانياً وإدارياً دائماً أسهم في تطوير المنطقة بشكل كبير.

الكلمات المفتاحية : عثمان نوري باشا، الحجاز، الدولة العثمانية، ولاية الحجاز، السلطان عبد الحميد الثاني، الإصلاحات العثمانية، أمن الحج، أشرف مكة، تاريخ جدة، العمارة العثمانية.

Abstract: This study examines the biography and reformist works of the Ottoman governor (Wali), Osman Nuri Pasha, who is considered one of the most prominent governors in the history of the Hejaz during the reign of Sultan Abdul Hamid II. The study highlights his military career and progression through various posts, culminating in his two tenures as the Wali of Hejaz, where he left a significant impact across multiple domains. The research focuses on the comprehensive reforms led by the Pasha, which aimed to consolidate central Ottoman authority and modernize the province. These reforms included security measures, where he succeeded in securing pilgrimage routes and quelling tribal rebellions by establishing military barracks and police posts. Administratively, he worked to curtail the influence of the Sharifs of Mecca, a policy that climaxed with the deposition of Sharif Abdul Muttalib, enabling him to govern the Hejaz directly. Furthermore, the study reviews his ambitious urban and civilizational projects, such as extending the telegraph line to Mecca, repairing water canals, establishing schools and hospitals, and proposing the construction of a railway line connecting Jeddah to Mecca and other cities in the Hejaz. The study concludes that Osman Nuri Pasha was a pivotal figure whose determination and reformist vision transformed the Hejaz from a state of disarray into an organized administration, leaving a lasting architectural and administrative legacy that significantly contributed to the region's development.

Keywords: Osman Nuri Pasha, Hejaz, Ottoman Empire, Governors of Hejaz, Sultan Abdul Hamid II, Ottoman Reforms, Hajj Security, Sharifs of Mecca, History of Jeddah, Ottoman Architecture.

التمهيد:

أرتبط تاريخ البلاد العربية وبالأخص الحجاز بالدولة العثمانية فترة طويلة من الزمن، ولقرون طويلة شكلوا وحدة جغرافيا واحدة، لكنها خياليه وليست متصلة، وهذا يعني تواجدتها على الساحة الإسلامية وبقوة وفي الوجدان العربي، وقد شكلت جزءاً كبيراً ومهماً من تاريخ للحجاز، وهذا يعني أنها قدمت الحجاز ولاية عثمانيين على أرفع مستوى وكانت تختارهم بدقة، ولاشك أن هؤلاء الولاة قد تركوا أثر كبير في الحجاز من الناحية المعمارية والثقافية وحتى السياسية والاستراتيجية الأمنية، وأشهر هؤلاء الولاة على الإطلاق عثمان نوري باشا الذي تولى منصب ولاية الحجاز مرتين، حيث كان رجل السلاطين على الدوام وله فيها أعمال جليلة وكثيرة.

ستتناول الدراسة في البداية حياته بشكل عام وتدرجه في المناصب العسكرية حتى أصبح من رجالات السلطان

عبد الحميد الثاني المخلصين .

ثم بعد ذلك أهم أعمال حياته في ولاية الحجاز سواء كانت معمارية أو حضارية أو عسكرية.

حياته:

إن عثمان نوري باشا الملقب بـ (الحاج) وبـ (طوبال) ومعناه الأعرج هو ابن مير ألي (لواء) أحمد شكري بك. ولد في حي ماجقة في إستانبول عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠ م. وبعد إكماله الدراسة في المدرسة العسكرية تخرج برتبة عسكرية من كلية الأركان الحربية عام ١٢٧٩هـ / ١٨٦٢ م^(١). ثم عين بوظيفة القائم مقام خلال حرب الصرب سنة ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥ م^(٢). ثم عين قائداً على الجيش المرابط في البلقان عام ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧ م برتبة مير ألي (لواء) ثم ترقى عقب انتهاء الحرب عام ١٢٩٨هـ / ١٨٨١ م إلى رتبة الفريق وعين قائداً على فرقة الحجاز، ثم عين بعد سنة واحدة والياً على الحجاز إثر استقالة الوالي السابق أحمد عزت باشا الأرزنجاي*. وترقى إلى رتبة عسكرية أعلى عام ١٣٠١هـ / ١٨٨٤ م. وقد صادفت فترة وظيفة عثمان نوري باشا في الحجاز الزمن الذي سجن فيه مدحت باشا وأصدقائه في الطائف. وقد أدى موقفه إزاء سجناء الطائف إلى كسب ثقة السلطان العثماني عبد الحميد الثاني^(٣) الذي أمر بترقيته من رتبة لواء إلى رتبة عسكرية

^١ - يذكر خليل سدس بك تاريخ ١٨٦٣ بدلاً من ١٨٦٢. انظر:

Halil Sedes, Osmanlı - Rus - Rumen Savası, c.9, İstanbul 1950, s. 39

^٢ - نفس المصدر والصفحة.

* أحمد عزت باشا الأرزنجاني: تولى ولاية الحجاز مرتين الأول في ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢ م، والثانية في ١٢٩٩هـ / ١٨٨٢ م، وكان على خلاف دائم مع الشريف عبد المطلب والأخير كان يعترض على أسلوب حكم الوالي أحمد عزت باشا. وفي الولاية الثانية كان قد وصل إلى من التنفيذ وتأسعت هوة الخلاف بينهما.

^٣ - İsmail Hakkı Uzunçarsılı, "Hicaz Vali ve Kumandanı Osman Nuri Pasa'nın Uydurma bir irade ile Mekke Emiri Serif Abdülmüttalib'i Azletmesi", Belleten, c.10, sayı 39, s. 503

Mithat pasa ve Taif Mahkumlari Ankara 1992. s. 144-145

أعلى خلال فترة قصيرة لا تتجاوز ثلاث سنوات. وقد قام عثمان نوري باشا بعزل أمير مكة عبد المطلب الذي كان ينافس في الحكم وسجنه في داره وأخذ زمام الحكم بيده

وبعد أن خرج محمد على باشا من الحجاز، عُين والياً على جدة، وشيخاً للحرم المدني بالإضافة إلى مشيخة الحرم المكي، وذلك بقرار من السلطان عبد المجيد الأول^(٤).

ثم عين عثمان نوري باشا والياً على حلب في ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م . ثم عين عثمان نوري باشا والياً على اليمن وقائداً على الجيش السابع وعين بعد ذلك والياً على الشام في ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م وأخيراً عين والياً على الحجاز للمرة الثانية. ثم عين للمرة الثانية على ولايتي حلب والشام وأخيراً رجع إلى إستانبول وتوفي فيها ١٣١٦ / ١٨٩٨م^(٥). وقد أصيب عثمان نوري باشا بالشلل الخفيف أثناء ولايته الأولى للحجاز ومع هذا واصل وظيفته وعندما صار والياً على سوريا للمرة الثانية أشتد عليه المرض حتى أنه لم يكن يستطيع أن يتناول الطعام وحده فكان أحد الأشخاص يعاونه في ذلك. وقد عُين ابنه كمال الدين بن نوري باشا ناظراً للحربية في السنوات الأخيرة للدولة العثمانية^(٦).

وكان عثمان نوري باشا رجلاً عسكرياً ماهراً وقاسياً وكان رجل السلطان عبد الحميد الثاني^(٧). كما كان صعب ومتقلب المزاج فكان رجاله يخافون منه^(٨) يقال أنه عذب مدحت باشا ورفاقه بأمر من عثمان نوري باشا في سجن الطائف^(٩)، ثم تم إعدامهم بأمر السلطان العثماني وبموافقة والي عثمان نوري باشا وهذا ما لم يثبت إلى الآن^(١٠).

ب- أعماله

قام عثمان نوري باشا بجملة إصلاحات في الحجاز وفي اليمن وبصفة خاصة أخذ التدابير اللازمة لتأديب القبائل البدو المتواجدين بين مكة والمدينة والذين كانوا يقومون بالتمرد ضد الدولة العثمانية من جهة كما كانوا يقومون بإعتراض طريق الحجاج القادمين إلى مكة والمدينة؛ بحيث أعد خطة مهمة وهو القيام بتنظيم خرائط تبين عدد سكان القبائل القاطنة في شبه الجزيرة العربية إضافة إلى أماكن إقامتهم، ثم قام بشن حملات عسكرية عليهم مرات عديدة مما

Ismail Hakkı Uzuncarsilim المصدر السابق ١٤٤-١٤٥ Halil Sedes المصدر السابق ولأجل معلومات

مفصلة عن عزل الشريف عبد المطلب انظر: عبد الإله عبد العزيز باناجه: تاريخ جدة، الطبعة الأولى، جده ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥ (٢٢٠١٥) ص ٢٥٣

Belleten, c. 10, F.32, Sayı 39, s. 503 - smail Hakkı Uzunçarsılı

^٥ - يذكر خليل سدس بك بأن عثمان نوري باشا توفي في حلب عام ١٨٩٨م عندما كان والياً على حلب،... انظر:

Halil Sedes, Osmanlı - Rus - Rumen Savaşı, c.9, İstanbul 1950, s. 39

⁶ - İsmail Hakkı Uzunçarsılı, Mithat pasa ve taif mahkumları Ankara 1992, s.144-1455

⁷ - İsmail Hakkı Uzunçarsılı, "Hicaz Vali ve Kumandanı Osman Nuri Pasa'nın Uydurma bir irade ile Mekke Emiri Serif Abdülmüttalib'i Azletmesi", Belleten, c.10, sayı 39, s. 503

⁸ - İsmail Hakkı Uzunçarsılı, Mithat Pasa ve Taif Mahkumları, Ankara 1992, s. 144-145

⁹ - Halil Sedes, Osmanlı - Rus - Rumen Savaşı, c.9, İstanbul 1950, s. 39

¹⁰ - İsmail Hakkı Uzunçarsılı, Mithat Pasa ve Taif Mahkumları, Ankara 1992, s. 144-145

أدى إلى تفريقهم وهزيمتهم^(١١). وقد أستند عثمان نوري باشا في تنفيذ مخططاته في الحجاز على أفكاره التي كان يقولها دائماً ويسعى لتحقيقها، منها:

أولاً: تطوير حضارة الحجاز وعمرانها.

ثانياً: إجراء التقسيمات الإدارية والسياسية.

ثالثاً: تشكيل المباني الأميرية والإمكانات العسكرية.

رابعاً: تأسيس المحاكم العادلة.

خامساً: نشر العلوم والعناية بالفنون والحرف اليدوية وتنسيقها وارادات الدولة.

سادساً: الإهتمام بإنشاء الطرق والجسور^(١٢).

وكانت الدولة العثمانية قد فقدت نفوذها في الحجاز قبيل تعيين عثمان نوري باشا قائداً ووالياً عليها، فأستطاع هذا الأخير بحزمه ودرايته من إعادة نفوذ الحكومة العثمانية في الحجاز بحيث منع دخول الأشراف في شئون الحكومة وقام بعزل أمير مكة الشريف عبد المطلب^(١٣).

ولنتوقف لحظة عن علاقه الوالي عثمان نوري باشا بالشريف عبد المطلب بين الشريف غالب^(١٤)، فقد علاقة متوترة جداً حيث أفرط الشريف عبد المطلب في تعنيف أهالي الحجاز والتسلط على أرزاقهم، وساءت إدارته للحجاز بل وساءت أيضاً علاقاته مع الدولة العثمانية حيث راسل بريطانيا سراً ضد الدولة العثمانية وراسل القبائل البدوية ضد الدولة العثمانية أيضاً، وكان على علاقة مصلحة مع مدحت باشا وقد علم بها السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، وإزاء هذه الأوضاع عين عثمان نوري باشا والياً على الحجاز، عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢ م، وكان يتمتع بثقة عالية من السلطان عبد الحميد الثاني، مما جعله يتصرف في أمور الحجاز منفرداً، ومتجاهلاً الشريف عبد المطلب تماماً، وذلك بسبب سوء إدارته للحجاز، ومشاكله مع الولاة السابقين، وإختلال الأمن في الحجاز إضافة الى علاقته القوية مع مدحت باشا في المنفى، وأستمر هذا الحراك الخفي حتى تم عزل عثمان نوري باشا للشريف عبد المطلب، حيث حاصره في منزله بالطائف بقوات عسكرية وأرسل له خبر عزله سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢ م^(١٥)، والمقصود هنا أنه لم يكن على وفاق يوماً مع الأشراف في الحجاز.

¹¹ - Basbakanlık Arsivi, Yıldız Evrakı, no. 14, Kısım No. 88/68, zarf no. 88, Is sira no. 13

¹² - Basbakanlık Arsivi, Yıldız Evrakı, 14-292-126-8

¹³ - Basbakanlık Arsivi, Yıldız Evrakı, 14-292-126-8

¹⁴ - للمزيد من المعلومات حول نشاطات عثمان نوري باشا السياسية في الحجاز وخصومته مع الشريف عبد المطلب، انظر: عبد الإله عبد العزيز باناجه: مرجع سابق، ص ٣٥٦ - ٣٥٨

Ismail Hakkı Uzunçarsılı, "Hicaz Vali ve Kumandanı Osman Nuri Pasa'nın Uydurma bir irade ile Mekke Emiri Serif Abdülmüttalib'i Azletmesi", Belleten, c. 10, sayı 39, s. 497-537

Ismail Hakkı Uzunçarsılı, Mithat Pasa ve Taif Mahkumları, Ankara 1992, s 144- 145.

¹⁵ - إسماعيل حقي جارشلي: أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثمانيين، ترجمة: خليل علي مراد، الطبعة الأولى، بيروت: الدار العربية للموسوعات ٢٠٠٣ م/ ١٤٢٤ هـ، ص ٢١٧ - ٢٢٠.

وقام الباشا أيضاً بمراقبة الإتصالات السياسية التي كان يقوم بها أمراء مكة مع الدول الأجنبية وأخذ كل الأمور تحت سيطرته. وقد رفع عثمان نوري إلى الحكومة العثمانية مجموعة من اللوائح. وقد ركز في هذه اللوائح على أحوال الحجاز وشبه الجزيرة العربية وإحتياجات الحجاز واليمن والإصلاحات التي يتطلب عملها في المنطقة. وهذه المتطلبات والتدابير هي:

أولاً: التدابير الأمنية للحجاز:

إن تحقيق أمن وسلامة الطرق المؤدية بين مكة والمدينة من أهم الوظائف الرئيسية في المنطقة. يجب السيطرة على الأماكن التي يقطن فيها قطاع الطرق، كما يجب وضع حماية عسكرية مجهزة بالمدافع في تلك الأماكن؛ إضافة إلى تشكيل مناصب في تلك الأماكن وتعيين شيوخ القبائل المواليين للحكومة والذين أثبتوا صداقتهم وإخلاصهم على هذه المناصب. هذا إضافة إلى وجوب تأسيس المدارس الابتدائية في المنطقة^(١٦).

ومن المطالب التي طلبها عثمان باشا من الحكومة العثمانية أيضاً هو تشييد ثكنة عسكرية في كل من وادي فاطمة وعسفان وتجهيزه بالجيش النظامي والانضباط العسكري لأجل القضاء على قطاع الطرق الذين يتسلطون على طريق جدة^(١٧)، ثم إنشاء مقر للحكومة في طريق لجهده، وجعلها قضاءً يحكم عليها القائم مقام. وبسبب قرب هذه المنطقة للمدينة المنورة وجب تشييد مخافر للشرطة على الروابي الكائنة على طول الطريق لحماية المنطقة والطرق من قطاع الطريق^(١٨). ومن أجل تحقيق أمن وسلامة الطرق التي أنشئت حديثاً، وكذلك في الطرق القديمة يجب ربط صلاحية القوات التنفيذية الموجودة تحت إمرة شيوخ القبائل والقائم بالقوانين بشكل تدريجي، إضافة إلى القيام بتقديم المكافآت للذين يثبتون جدارتهم بمختلف الأشكال^(١٩). ويجب تشكيل قائم مقامية في وادي فاطمة وفصلها عن الإمارة، ينصب عليها واحداً من الرجال المخلصين للدولة؛ إضافة إلى تشكيل متصرفية في موقع ناحية الطائف. وأخذ التدابير الضرورية في موقع بجيلة^(٢٠) الذي يضم أراضي زراعية منبثة ومنايع مياه غزيرة.

ومن المعلوم أن منطقة الحجاز حرارته شديدة مما يؤدي إلى أن عدد كبير من الجنود الذين لا يتحملون العيش في جو حار جداً، ومن أجل الوقاية من ذلك، تشكيل فرقة من العسكر النظامي وتجهيزهم بالجمال ودفع مرتبات شهرية لهم بشكل منظم وتنصيب أحد القادة العسكريين على هذه الفرقة والذين يتصفون بالأخلاق العالية ولهم خبرة وافية ومعرفة بأراضي المنطقة^(٢١) كما يجب تشديد الرقابة على ميناء جدة نظراً لأهميته وقيامه بتأمين أمن وسلامة شبه

¹⁶ - Basbakanlık Arsivi, Yıldız Evrakı, 14-88/88-88-13

¹⁷ - W. Basbakanlık Arsivi, Yıldız Evrakı, 14-88/88-88-13

¹⁸ - Basbakanlık Arsivi, Yıldız Evrakı, 14-88/88-88-13

¹⁹ - Basbakanlık Arsivi, Yıldız Evrakı, 14-292-126-8

^{٢٠} - بجيلة هي في الأصل قبيلة قحطانية ثم نسبها إلى الموقع.

²¹ - Basbakanlık Arsivi, Yıldız Evrakı, 14-88/88-88-13

الجزيرة العربية في المستقبل، إضافة إلى تقوية مضيق باب المندب. وقد قام عثمان نوري باشا برسم خريطة هذه الموانئ^(٢٢).

وقد أهتم بجده على وجه الخصوص فترة إتخاذها مقراراً له، حيث قام ببعض أعمال التحصين في ينبع، وبناء سور لها، وإقامة حامية صغيرة بها، وتعزيز جدة بمخافر عسكرية في الطريق بينها وبين مكة و أستطاع القضاء على أعمال التمرد والعنف التي دارت بين العشائر وأدت إلى سوء العلاقة مع الدولة العثمانية، فكون حملة من ألف رجل تمكنت من دخول مكة المكرمة وحفظ الأمن منها^(٢٣).

لقد أهتم بمنطقة الحجاز أيما إهتمام وبرز ذلك من خلال العمارة والمنشآت التي أنشئت على حسابه الخاص ومع ذلك قلما يذكر ذلك الخير.

ثانياً: أعمال البناء والتعمير

لم تكن الدولة العثمانية متهاكة جداً في هذه الفترة ولم تكن مريضه مرضاً مميتاً، غالباً أنها كانت قادرة على إظهار ولاية جيدين، أمثال: عثمان نوري باشا، فقد أعطى لمكة المكرمة الكثير من المطالب، التي أقرحها عثمان نوري باشا على الحكومة العثمانية كما أقرح تقديم المكافآت والهدايا إلى شيوخ القبائل في الحجاز نظراً لقاء إيفاء الوعود التي أعطيت لهم دائماً^(٢٤).

وقد كان عثمان نوري باشا والياً قوياً لا يستطيع أن يتعايش إلا مع أحد من الأشراف اللينين، وهذا كان سر عداوته لشريف عون^(٢٥).

وبما أنه لا توجد إدارة للبلدية في مكة المكرمة وأن الحكومة لا تعني كثيراً بالنظافة أصبحت الأزقة مكاناً للمهملات، إضافة إلى ذلك أن كثرة عدد الحجج وحرارة الطقس، كل ذلك يؤدي إلى قذارة الهواء وانتشار الأمراض. عوضاً على أن الأزقة ضيقة وغير منتظمة ويقوم الناس بتشديد المباني في وسط الأزقة بشكل عشوائي، لذلك

²² - Basbakanlık Arsivi, Yıldız Evrakı, 14-292-126-8

عبد الإله عبد العزيز باناجه: مرجع سابق، ص ٣٥٨

²³ - Basbakanlık Arsivi, Yıldız Evrakı, 14-88/88-88-13

لمعرفة خفايا العلاقة بين الشريف عون الرفيق والوالي عثمان نوري باشا، انظر: كرستان سنوك هور خرونيه: صفحات من تاريخ مكة المكرمة: ترجمة: على عودة الشيوخ ، د. ط، المملكة العربية السعودية، مكتمة الدارة المئوية ، تاريخ الطبع: ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ج ٢، ص ٢٩٧-٣٠٠ ١٤٤٠هـ

وانظر أيضاً: عماد عبد العزيز يوسف : الحجاز في العهد العثماني، ١٨٧٦هـ الطبعة الأولى، بيروت، شركة الوراق للنشر ١٤٤٠هـ / ٢٠١٨م، ص ١١٠-١١٢.

²⁴ - Basbakanlık Arsivi, Yıldız Evrakı, 14-292-126-8

²⁵ - Basbakanlık Arsivi, Yıldız Evrakı, 14-292-126-8

كان علي الحكومة العثمانية إتخاذ التدابير اللازمة من تلك اللحظة لأنه سيكون من الصعب في المستقبل تنظيم وتوسيع هذه الأثرة فيجب على الحكومة تشكيل سراي للبلدية في مكة المكرمة (٢٦).

ثانياً: التربية والتعليم

وضع عثمان نوري باشا مسألة تطوير التعليم في الحجاز نصب أعينه، وهذا قاده إلى عدة إصلاحات و مشاكل لابد من حلها.

إذ لا توجد أي مؤسسة تعليمية بإسم نظارة المعارف العثمانية في الحجاز (٢٧). وعلى الرغم من إفتتاح مدرسة متوسطة في مكة ووجود بعض الأماكن التي تقوم بمهام المدارس، لكن كل هذه الأماكن محرومة من التطور والتقدم وأغلبية طلاب هذه المدارس من أولاد العثمانيين، بينما تشكل الطلاب العرب نسبة ضئيلة جداً في هذه المدارس. ومن ثم فإن الدروس في هذه الأماكن تعطى على شكل حلقات وهي تحتوي على الدروس العلمية فقط وأغلبية الطلاب من أندونيسيا (٢٨)، ولهذا السبب كان من الواجب تأسيس مدرسة ثانوية دينية في مكة ويجب أن تكون الدراسة في هذه المدرسة إلزامية على أولاد شيوخ القبائل العربية وعلى الأدلاء الذين يقومون بالوظيفة في موسم الحج وأولاد الأئمة والخطباء. وتكون الدراسة باللغة العربية ولا يجوز تعيين أي طالب من طلاب المدرسة في وظيفة والده سواء كان شيخاً أم خطيباً أم دليلاً أم غير ذلك ما لم يحصل على شهادة التخرج من هذه المدرسة. وإنطلاقاً من هذه الحركة سوف تحقق فوائد كثيرة للدولة، إضافة إلى إثبات هيبة الدولة (٢٩). كذلك يجب تأسيس داراً للحديث وداراً للعلوم وداراً للحرف اليدوية في مكة. بالإضافة إلى دار لدراسة العلوم السياسية لأبناء العامة لتقوم بتنشئة موظفي الدولة للمشاركة في صنع القرار في الدولة (٣٠)، وتأسيس إضافة إلى مدرسة تقوم بتنشئة العلماء والأدباء لتعيينهم في تدريس العلوم العالية والفنون العالية في المناطق المجاورة (٣١). بالإضافة إلى تأسيس مدرسة عالية في الحجاز يكون طلابها من أولاد شيوخ العرب لتنشئة موظفين يقومون بخدمة الكعبة المشرفة (٣٢). والعمل على إزالة النقص الموجود في عدد معلمي المدارس المتوسطة في مكة وجدة وينبع والطائف وتنظيم الدروس في هذه المدارس حسب المتطلبات المحلية وجعلها بحالة قابلة للتطور وإرسال خريجو هذه المدارس الى أماكن الاحتياج (٣٣). وتأسيس مدرسة دينية في جدة لتقوم بتعليم الدين

26 - Basbakanlık Arsivi, Yıldız Evrakı, 14-88/88-88-13; 14-292-126-8

27 - Basbakanlık Arsivi, Yıldız Evrakı, 14-292-126-8

28 - Basbakanlık Arsivi, Yıldız Evrakı, 14-88/88-88-13; 14-292-126-8

29 - Basbakanlık Arsivi, Yıldız Evrakı, 14-292-126-8

30 - Basbakanlık Arsivi, Yıldız Evrakı, 14-88/88-88-13

31 - Basbakanlık Arsivi, Yıldız Evrakı, 14-292-126-8

32 - Basbakanlık Arsivi, Yıldız Evrakı, 59/38/2/1309-B-18

33 - Basbakanlık Arsivi, Yıldız Evrakı, 14-292-126-8

والمعرفة للشباب العرب ليتعينون شيوفاً بعد آبائهم^(٣٤). وآخر مسألة تشكيل مجلس للمعارف وتعيين مدير للمعارف للنظر في شئون المدارس وإصلاحها^(٣٥).

وكانت هذه مجموعة الحلول التي وضعها عثمان نوري باشا لعمل إصلاحات في نظام التعليم في الحجاز وقد نفذ بعضها ولم ينفذ الآخر لعدة أسباب.

ثالثاً: طرق المواصلات والقطار:

لقد بين والي الحجاز في اللوائح التي رفعها إلى الحكومة العثمانية بأن طريق جدة مناسب لإنشاء خط القطار (السكة الحديدية)، ففي حالة تشكيل شركة محلية يكون من السهولة إنشاء سكة حديدية خفيفة بين جدة ومكة لتنقل الحجاج الذين يسافرون على الجمال ويتحملون المشاق من الناحيتين المالية والبدنية، إضافة إلى أن السفر بالقطار سوف يحمي الحجاج والمسافرين الآخرين من قطاع الطرق. وقد طلب الباشا من الحكومة تنفيذ خط القطار بصورة سريعة^(٣٦). وأقترح عثمان نوري بأن يمد القطار عبر مكة ومدن الحجاز مثل جدة وينبع ويصل إلى المدينة، كما أقترح إنشاء خط آخر من ينبع إلى القدس^(٣٧).

كما طلب الباشا بأن يمر طريق السكة الحديدية الذي بدأ تأسيسه في الشام من ولاية الحجاز إلى اليمن. وطلب من الشركة التي تقوم بإنشاء السكة الحديدية بين جدة ومكة أن تقوم كذلك بإنشاء خط القطار بين ينبع والمدينة والعقبة والقدس والحديدة. هذا إضافة إلى تشغيل البواخر من قبل الشركة المذكورة أو من قبل الدولة بين موانئ ينبع وجدة والقنفذة وذلك لتغطية طرق المواصلات. وينبغي إنشاء رصيف لمينائي جدة والحديدة. وسوف تؤدي هذه الطرق وكذلك القطار إلى نتائج إيجابية في اليمن وتساعد في الوقت نفسه على تطور وتقدم ولايتي الحجاز واليمن^(٣٨).

رابعاً: الاتصالات:

أما عن الاتصالات فقد رأى عثمان نوري باشا بأنه يجب على الحكومة تأسيس خط للتلغراف (نظام البرق) مبتدئاً من الشام وممتداً بين كل من جدة ومكة وينبع والمدينة والعقبة والقدس، كما ينبغي تمديد هذه الخطوط للموانئ التي سوف تشيد في جدة والحديدة. وأن إقامة مثل هذه الاتصالات البرقية مهم من الناحية السياسية والتجارية، إضافة أنها تساعد على نمو وتطور ولايتي الحجاز واليمن^(٣٩). وتقوم بحماية ولايتي اليمن والحجاز من كل أنواع المخاطر التي من الممكن أن تتعرض لها الحجاز واليمن. وأخيراً فإن خط التلغراف سوف ينهي أي آمال وطموحات خديوية مصرية في المنطقة^(٤٠).

³⁴ - Basbakanlık Arsivi, Yıldız Evrakı, 14-88/88-88-13

³⁵ - Basbakanlık Arsivi, Yıldız Evrakı, 14-292-126-8

³⁶ - Basbakanlık Arsivi, Yıldız Evrakı, 14-292-126-8; 14-88/88-88-13

³⁷ - Basbakanlık Arsivi, Yıldız Evrakı, 14-292-126-8

³⁸ - Basbakanlık Arsivi, Yıldız Evrakı, 59/38/2/1309-B-18

³⁹ - Basbakanlık Arsivi, Yıldız Evrakı, 14-88/88-88-13

⁴⁰ - Ismail Hakkı Uzunçarsılı, Mithat Pasa ve Taif Mahkumları, Ankara 1992, s. 144-145

قصر عثمان نوري باشا في دمشق:

له قصر في دمشق مقر السفارة الفرنسية في سوريا حالياً، ويعتبر شاهد على العراقة والجمال الذي يتباهى به القصر عبر الزمان ، وقد بناه أثناء تولية ولاية في دمشق لمرة بين الأولى ١٣٠٧-١٣٠٨ هـ/ ١٨٨٩-١٨٩٨ م، والمرة الثانية ١٣٠٩ - ١٣٠١ هـ/ ١٨٩٢ م - ١٨٩٣ م والقصر شاهد على عصر عثمان نوري باشا وعلى ما بعد ذلك حيث نزل فيه الشريف فيصل (الملك فيصل) عند دخوله دمشق بعد الثورة العربية ١٣٣٥ هـ/ ١٩١٦ م ولا تزال جدرانه تحتفظ بأسرار الحكم.

الخاتمة:

الوالي عثمان نوري باشا من الولاة القلائل الذين صاغوا الإصلاحات في ولاية الحجاز عامة بشكل آتى ثماره المرجوة من ناحية توطيد حكم العثمانيين في الفترة الثانية بشكل عام وانعكاس هذه الإصلاحات عليها. بالإضافة إلى أنها شملت جميع مؤسسات الحجاز كولاية عثمانية تحكم بشكل مباشر وهذه الإنجازات هي:

- ١- إنشاء مقر للحكومة.
- ٢- إنشاء أربع ثكنات عسكرية.
- ٣- تشييد ثمانية عشر مخفر نظامي للشرطة.
- ٤- تأسيس خط لنقل المياه الى منى.
- ٥- إصلاح قنوات مياه عين زبيد.
- ٦- بناء أكثر من عشرين شحمة (سبيل) ماء في مكة.
- ٧- تأسيس مطبعة ومدرسة متوسطة ودار شفاء ودار توقيت.
- ٨- تشييد سور لينبع.
- ٩- هدم القشلة (الثكنة) العسكرية الموجودة في الحجاز بسبب قدمها وعدم استجابتها للمتطلبات وإنشاء قشلة جديدة محلها.
- ١٠- إعادة تعمير الحرم الشريف.
- ١١- إيصال خط التلغراف إلى مكة.
- ١٢- استعادة بعض الأفضية والقلاع من إدارة مصر وربطها بولاية الحجاز.
- ١٣- إنقاذ الحجاز من الفوضى وربطها إلى الحكومة المركزية عن طريق إدارة منظمة.
- ١٤- تعمير قلعة الولاية الطائف وقشلة الطائف التي لأول شيدها مرة ولاية مصر عام ١٢٧٩ هـ/ ١٨٦٢) والتي تستوعب أربع كتائب عسكرية وذلك في سنة ١٣٠١ هـ/ ١٨٨٣ م^(٤١).

⁴¹ - Basbakanlık Arsivi, Yıldız Evrakı, 94/33/33/37; Ismail Hakkı Uzunçarsılı, Mithat Pasa ve Taif Mahkumları, Ankara 1992, s. 144-145

لقد قام عثمان نوري باشا بالحفاظ على أمن وسلامة الحجاز بربطها إلى الحكومة المركزية من جهة وعلى إعمار المنطقة ونشر الرفاه والرخاء بين الأهالي وذلك عن طريق اللوائح التي رفعها إلى الحكومة العثمانية في أستانبول من جهة وعن طريق الخدمات والإنجازات التي قام بها فعلاً في المنطقة من جهة أخرى، ووفق بدرجة كبيرة في جهوده التي بذلها في تحقيق أهدافه وآماله.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق الأرشيفية

الأرشيف العثماني برئاسة الوزراء في إسطنبول (Başbakanlık Osmanlı Arşivi - BOA)

مجموعة وثائق قصر يلدز (Yıldız Evrakı)، وتضم الوثائق التالية:

Y.A.HUS. 10/72/3/1300 CA. 17

Y.A.HUS. 14, Kısım No. 88/68, zarf no. 88, Is sıra no. 13

Y.A.HUS. 14-88/88-88-13

Y.A.HUS. 14-292-126-8

Y.A.HUS. 59/38/2/1309-B-18

Y.A.HUS. 94/33/33/37

ثانياً: المصادر والمراجع العربية والمعرية

باناجه، عبد الإله عبد العزيز. تاريخ جدة. الطبعة الأولى. جدة، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م.

أوزون جارشلي، إسماعيل حقي. أشرف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني. ترجمة: خليل علي مراد. الطبعة الأولى. بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

سنوك هورخرونيه، كريستيان. صفحات من تاريخ مكة المكرمة. ترجمة: علي عودة الشيوخ. المملكة العربية السعودية: دار الملك عبد العزيز، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

يوسف، عماد عبد العزيز. الحجاز في العهد العثماني ١٨٧٦-١٩١٨م. الطبعة الأولى. بيروت: شركة الوراق للنشر، ١٤٤٠هـ / ٢٠١٨م.

Basbakanlık Arsivi, Yıldız Evrakı, 10/72/3/1300 CA. 17

Ismail Hakkı Uzunçarşılı, Mithat Pasa ve Taif Mahkumları, Ankara 1992, s. 144-145

ثالثاً: المصادر والمراجع الأجنبية (التركية)

Sedes, Halil. *Osmanlı - Rus - Rumen Savaşı*. c.9, İstanbul, 1950.

Uzunçarşılı, İsmail Hakkı. "Hicaz Vali ve Kumandanı Osman Nuri Paşa'nın Uydurma bir İrade ile Mekke Emiri Şerif Abdülmüttalib'i Azletmesi". *Belleten*, c.10, sayı 39, (1946): s. 497-537.

Uzunçarşılı, İsmail Hakkı. *Mithat Paşa ve Taif Mahkumları*. Ankara, 1992.